

نماذج من حركات المقاومة الوطنية في السودان الغربي

خلال القرن 19م

أ. عطية عبد الكامل-جامعة المسيلة-الجزائر

المقدمة:

يعتبر القرن التاسع عشر مجالا خصبا للدراسات التاريخية المتعلقة بغرب إفريقيا، ففيه ظهرت فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتطورت تطورا كبيرا، ولم تعد هذه الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين وإنما أصبح هدف روادها التصدي للأطماع الأوروبية الاستعمارية. كما شهد القرن التاسع عشر تأسيس ممالك إسلامية كبيرة، مثل الفولاني والتكرور، ومملكة ساموري العسكرية. وفيه أيضا تم تقسيم القارة الإفريقية بعد مؤتمر برلين 1884-1885م^[1] بين الدول الأوروبية الاستعمارية مما ترتب عليه نشوب صراع عنيف بين الدول

الغازية والزعامات الوطنية الإفريقية^[2].

جوبه الاستعمار الأوروبي منذ أن وطأت قدماء أرض السودان الغربي بمقاومة عسكرية عنيفة، وثورات عارمة متصلة، وكانت المواجهة غير متكافئة؛ إذ أن أوروبا استعملت في إخماد هذه المقاومات أحدث ما توصل إليه العقل الأوروبي من أسلحة للفتك والبطش، فيما اعتمد الأفارقة على الأسلحة البسيطة من سيوف وحراب وسهام، وسقط الآلاف من أبناء السودان الغربي ذودا عن أراضيهم وأعراضهم وممتلكاتهم^[3].

من أبرز حركات المقاومة للمد الاستعماري التي شهدتها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر حركتي "الحاج عمر الفوتي"، "وساموري توري"، وقد اخترت النموذجين على سبيل المثال لا للحصر. فتاريخ السودان الغربي غني بالحركات المقاومة، والمناهضة للتواجد الاستعماري بمختلف أشكاله عبر مختلف مراحل التاريخ.

وقبل التطرق لعرض جهود القائدين الجهادي ارتأيت أن أخص أهم أسباب ظهور فكرة الجهاد لدى الزعماء الأفارقة خلال القرن التاسع عشر، وهي كالتالي:

- اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية.
- تلقى بعض الزعماء الأفارقة لتعليمهم الديني بالأزهر الشريف، وقيام بعضهم بأداء فريضة الحج كان له أثر كبير عليهم، فعادوا لبلدانهم وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامي وتصحيح ما نحرف من عقائد المسلمين، وتطهيرها من الشوائب والممارسات الغريبة عن الدين الحنيف.
- انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي، مما أدى إلى إبراز فكرة

الجهاد وانتشارها، ومن أهم هذه المراكز سوكونتو وحمد الله^[4].

- لقد كان لإحياء الثقافة العربية الإسلامية في أواخر القرن الثامن عشر أثره في قيام هذه الحركات الجهادية، وكانت الكتب والقصائد الشعرية قد بصرت المسلمين بأحوالهم، وأخذت ترثى لحالهم، وهكذا هياة المؤلفات

الأدبية النفوس للجهاد الإسلامي^[5].

- انتشار الطرق الصوفية، مثل القادرية، التجانية، السنوسية وقد حرص أتباع هذه الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين، ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربي للمنطقة أي أن فكرة الجهاد نفسها تطورت فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضاً^[6].

1- حركة الحاج عمر الفتوي^[7] :

تعد حركة الحاج عمر من أشهر الحركات الإصلاحية الجهادية التي شهدتها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي. ففي سنة 1849م أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين، واستطاع خلال عشر سنوات أن يسيطر على كل السودان الغربي من حدود مدينة تمبكتو حتى حدود السنغال الفرنسية، واعتبر الحاج عمر أن رسالته المقدسة هي تنقية الإسلام في السودان الغربي من كل ما علق به من شوائب، ووضع حدا للوثنية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، حيث قام ببناء المساجد، والمدارس القرآنية في كل أرجاء المنطقة التي امتدت إليها حركته الإصلاحية^[8].

بدأ الفرنسيون يدركون مدى قوة الحاج عمر الصاعدة، وخاصة أن مسلمي "فوتا" السنغالية تطلعوا للإتحاد معه، ولذلك كان لابد "لفيدارب"^[9] من الاعتماد على قوة أخرى يواجه بها "التكرور"^[10] فلجأ إلى التحالف مع قبائل "البمبارا"^[11] الوثنية كخطة مبدئية، وفي نفس الوقت رحب "البمبارا" بهذا التحالف على أمل أن يمكنهم من استعادة نفوذهم ومركزهم السياسي^[12].

وخلال هذه الفترة كان الحاج عمر يرغب في تحسين علاقاته مع الفرنسيين مقابل الحصول على السلاح، والذخيرة، وكان على استعداد للموافقة على تسهيل تجارة الفرنسيين عبر إمبراطوريته حتى لا يهاجموه في المؤخرة إذا ما انشغل في حروبه مع كارتا^[13].

لكن الفرنسيين رفضوا ذلك خوفا من تزايد قوته العسكرية، وفي الوقت نفسه عملوا على تسليح "البمبارا"، ولذلك تغير موقفه من الفرنسيين وأخذ أتباعه يهاجمون المراكز الفرنسية ويهددون التجارة في منطقة "باكل"^[14]، ثم أقدم الحاج عمر على خطوة خطيرة إذ أعلن عن نواياه في محاربة الفرنسيين حتى يدفعوا له الجزية. كما دعا أتباعه في "سانت لويس"^[15] إلى عدم التعاون والاتفاق مع الخونة الفرنسيين، وكتب إلى فيدارب بأنه يعارض إرسال أي سفينة حربية فرنسية^[16].

وقال: «أن الحرب ضد الوثنيين يجب أن تستمر حتى يوافقوا على دفع الجزية». وكانت هذه الدعاية التي نشرها الحاج عمر على طول نهر السنغال ضد الفرنسيين من العوامل التي جعلت القائد الفرنسي يخشى قوة الحاج عمر، وأكد في مراسلاته المستمرة إلى باريس على أن الحاج عمر ينوي شن هجوم شامل على الفرنسيين أسوة بالأمير عبد القادر الجزائري، وفي شهر فيفري سنة 1856م كتب إلى وزير المستعمرات والبحرية قائلاً: «أن الحاج عمر ينظم ثورة عامة ضدنا»^[17].

أما حاكم خاسو سامبالا (Sambala) فقد رحب بالفرنسيين في أرضه وقبل ببناء حصن فرنسي في "ميدان"، يساعد على رد هجمات الحاج عمر، وإنشاء هذا الحصن يشكل تهديدا كبيرا لطموحات الحاج عمر التوسعية فقام الحاج عمر بحصاره لمدة ثلاثة أشهر سنة 1857م، وقد عانى سكان الحصن الجوع ونقص المؤونة، حتى وصول الإمدادات الفرنسية^[18].

أظهر حصار الحاج عمر لحصن ميدان قوته، ومدى رفضه لإنشاء الحصون الفرنسية في المنطقة، وفي سنة 1859م قام بمحاصرة حصن "ماتام" ومركز "جيمو" Guemou، غير أن الفرنسيين نجحوا في فك الحصار المضروب، وفشل الحاج عمر في التصدي للفرنسيين، وخلال هذه الفترة حدث نوع من الهدوء بسبب المعاهدات^[19] الموقعة بين الحاج عمر، والفرنسيين، لذلك فضل الحاج عمر خلال هذه الفترة عدم الاحتكاك بالفرنسيين أكثر لذلك فضل الاتجاه بفتوحاته صوب النيجر لاستكمال بناء إمبراطوريته، وأصبح نهر السنغال هو الحد الفاصل بين إمبراطوريته، والفرنسيين^[20].

وبفضل النجاحات الدينية، والسياسية التي حققها المجاهد الحاج عمر أصبح يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء، تمتد من "تمبكتو" إلى المحيط الأطلسي، وظلت تدين له بالولاء طيلة أربعين سنة، وكانت الطريقة "التجانية" هي الطريقة الرسمية في كل أرجاء الإمبراطورية^[21].

وعند عودة فيدارب إلى السنغال خلال ولايته الثانية 1863م، وجد بأن إمبراطورية الحاج عمر قد اتسعت بدرجة كبيرة، وخوفا منه على فقدان النفوذ الفرنسي في المناطق الداخلية أصدر تعليمات إلى الضابط البحري "أوجين" ماج Mage Egenns لتوجه في بعثة إلى "سيقو" عاصمة عمر سنة 1863م وكان الهدف هو التعاون مع الحاج عمر في المستقبل القريب على الأقل، طالما كانت الفرق الفرنسية مشغولة بتدعيم سيطرتها على الساحل^[22].

وأمام التحالف الذي تكون ضد الحاج عمر من "الماسينيين" أنفسهم، ومن قادري تمبكتو، هبة ماسينا في ثورة عارمة ضد الحاج عمر في شهر ماي 1863م انتهت بحصار حمد الله^[23] التي كانت تعج بالسكان وقلة الموارد الاستهلاكية لمدة ستة أشهر، جاءت نهاية المجاهد الحاج عمر، حيث استشهد في أحد المغارات يوم الجمعة 03 رمضان 1280هـ الموافق لـ 12 فيفري 1864م^[24].

وهكذا استشهد المجاهد الحاج عمر عن عمر ناهز السبعين سنة، حاول خلالها بناء دولة إسلامية تطبق فيها أحكام الشريعة الغراء من جهة ومقاومة الغزاة الأوروبيين من جهة أخرى، الذين جاؤوا للسيطرة على السودان الغربي واستعباد أهاليه، ونهب موارده المتنوعة، وترك الحاج عمر مسؤولية هذا العبء الكبير لأبنائه من بعده لمواصلة المسيرة الجهادية^[25].

لم يكن جهاد الحاج عمر الفوتى التكرورى في غرب أفريقيا مجرد محاولة لأحد مواطني المنطقة نشر الدين الإسلامي ومكافحة المستعمر الفرنسي، بل كان لهذا الشيخ وجهاده عدة إنجازات ترك بصماتها على المنطقة حتى بعد وفاته ومن ذلك:

كان جهاد الحاج عمر فريدا من نوعه حيث يتميز بأنه خارج أرضه، و كان عليه أن يقاوم في جبهتين، داخلية ضد جامعات وثنية، وخارجية ضد الأطماع الاستعمارية الفرنسية، وساعدت بركته على نشر الدين الإسلامي بالمنطقة وخاصة بين الجماعات الوثنية والتي لم تكن قد دخلت بعد إلى الأديان السماوية. وعمل الحاج عمر الفوتى على نشر الطريقة التيجانية^[26] والتي صارت تنافس الطرق الصوفية الأخرى^[27].

واثبت جهاد الحاج عمر وحلفاؤه في تلك الفترة من القرن التاسع عشر أن المسلمين لم يدركوا أبعاد المخاطر التي تحدث لهم، وانشغلوا في صراعاتهم الداخلية، واثبت الحاج عمر أنه كان بعيد النظر، وأنه كان يسعى لتوسيع الإمبراطورية الإسلامية وتكوين حلف قوي يصمد أمام الاستعمار الفرنسي الذي عرفه عن قرب وفهم أهدافه^[28].

2- حركة ساموري توري^[29]

يعد ساموري توري من الزعماء الأفارقة الذين لعبوا دورا هاما في مقاومة الاستعمار الفرنسي في السودان الغربي، وقد استمرت مقاومته للغزاة قرابة 17 عاما حتى أُلقي عليه القبض سنة 1898م، بعد أن كان قد أسس دولة إسلامية قوية في أعالي النيجر.

لقد تصادف قيام جهاد ساموري توري مع ظهور البحرية الفرنسية، واستكمال سلاح المشاة بشكل جعله فعلا وصالحا للحرب في المستعمرات وصار هذا السلاح من أحدث وسائل الغزو التي استخدمها الفرنسيون ضد ردود الفعل الإفريقية آنذاك، وكانت لدى ساموري القدرة على الرؤية بوضوح، والتجاوب بفاعلية مع الظروف المتغيرة، وكانت رسالته الكبرى في الحياة هي الدفاع عن إمبراطوريته، التي كانت إلى حد كبير نتيجة جهوده الشخصية التي قامت من أجل نشر الدين الإسلامي، ومواجهة التوسع الاستعماري والتغلغل المسيحي في السودان الغربي^[30].

في منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر، وجدت النواة التي ستقوم عليها الدولة المقترحة، والتي ستنشأ عاصمتها في "بيساندوجو Bissandugu" القرية من مسقط رأس ساموري توري، وقد كان ساموري على درجة عالية من الكفاءة والقوة، فقد باعت قواته خلا هذه الفترة الأسلاب، والعبيد الذين أسرتهم أثناء توسعاتها، وفي نفس الوقت قامت قواته بشراء الخيول، والأسلحة الحديثة^[31]، وكان على الدولة الفتية أن تعد نفسها لفتوحات كبيرة، وبعد أن تم لها ذلك قامت بتنظيم القرى المفتوحة، حيث قام حكمها بجمع الجزية من الذهب، ومن الإنتاج الزراعي^[32].

وكان أعظم نجاح حققه ساموري أنه أصبح ملما بقدر كبير من العقيدة الإسلامية. وفي سنة 1874م حصل على لقب "الإمام"، وقام ببناء المساجد وفرض الشريعة الإسلامية على رعاياه، وقام بالسيطرة على مصادر الذهب في "بورى Boure" كموارد هامة لدولته الناشئة، ومد فتوحاته إلى ثنية نهر النيجر^[33].

بدأ أول اتصال بين الفرنسيين وساموري^[34] سنة 1881م، عندما أرسل له الملازم الكاماسا Alkamassa من "كايتا Kita" يطلب منه الابتعاد عن بلدة "كينيرا"^[35] Keniera، التي كان ساموري يغير عليها من حين إلى آخر، وإزاء هذه الغارات المتكررة من ساموري، أرسل حاكم كينيرا "باجوبا Bagoba" رسالة يطلب فيها النجدة من الفرنسيين في كايتا سنة 1881م^[36].

خشي قائد حصن كيتا التسرع في إرسال النجدة إلى "كينيرا" خوفا من توغل قواته في بلاد مازالت مجهولة عند الفرنسيين، واكتفى بتشجيع بجوبا على مقاومة الحصار الذي فرضته قوات ساموري، التي رفضت وساطة الفرنسيين في فك الحصار، وعجز الفرنسيون أنفسهم عن تقديم أي مساعدة تذكر للمدينة المحاصرة خاصة بعد تفشي الحمى الصفراء في المنطقة^[37].

وعندما ما وصل القائد الفرنسي "بورجنيس دسبورد" إلى مدينة "كيتا" طلب من ساموري الانسحاب من كيني ران، لكن ساموري رفض ذلك، وازداد هذا الرفض عندما استخدمت القوات الفرنسية القوة ضد ساموري في 22 فيفري 1882م. لكنه اضطر إلى الانسحاب بحذر بعد أن خاض معركتين في منطقة "وياناكو" قرب "باماكو" في الثاني من أفريل^[38].

تواصلت المواجهات العسكرية بين ساموري والفرنسيين خلال الفترة الممتدة بين 1882م إلى غاية 1898م، ومما يسترعي الانتباه أنه خلال هذه الفترة حدث نوع من التقارب الحذر بين الطرفين جسدهته المعاهدات^[39] الموقعة بينهما كضرورة تملئها تلك المرحلة، وسرعان ما يتم نقضها من أحد الطرفين، لأن كل طرف كان هدفه هوربح الوقت وتحين الفرصة في الانقضاض على الطرف الآخر. إلى جانب المهارة الحربية التي كان يمتلكها ساموري، فإنه تميز كذلك بالدبلوماسية البارعة، وقد سعى في العديد من المرات إلى الوقيعة بين كل من السلطتين الفرنسية والبريطانية، فبعد توقيع معاهدة "بيساندوجو" مع

الفرنسيين وقع في العام التالي أي سنة 1888م معاهدة "فستنغ" مع القائد البريطاني، كذلك بعد توقيع معاهدة "نيماكو" سرعان ما أعلن رفضها، ووقع معاهدة ثانية مع البريطانيين، فوقع معاهدة "جاريث" ولذلك صممت إدارة الاحتلال الفرنسي التخلص منه، ومن المشاكل التي دأب على إثارتها من وجهة نظرهم^[40].

وأمام فشل الخطط الفرنسية في كبح جماح المقاومة السودانية بقيادة ساموري توري لجأت فرنسا في 1891م لاستعمال القوة، ومهاجمة ساموري، وتعقب أثره، فنجحوا في الاستيلاء على كل من "كان كان" و"بيساندوجو"، وما يلفت الانتباه أنه بعد الاستيلاء على المنطقتين، بدأت فكرة الاتحاد بين الزعماء الوطنيين تظهر إلى حيز الوجود نتيجة للخطر المشترك، لكن الفكرة جأت متأخرة، لأن فرنسا كانت قد عازمت على اكتساح السودان الغربي بأكمله، وخاصة أن الضعف انتاب قوات الزعماء الوطنيين، ولم يعد في مقدورهم مجابهة فرنسا^[41].

أرغمت القوات الفرنسية قوات ساموري على الانسحاب إلى مرتفعات غينيا، وإخراج أنصاره من ساحل العاج، فاتجه نحو فولتا العليا، وهناك وجد نفسه محصوراً بين القوات الفرنسية، والبريطانية، فرجع إلى شمال ليبيريا وتتبعه المستعمرون حتى وقع في الأسر في سبتمبر سنة 1898م، وتم نفيه إلى الجابون حيث توفي هناك سنة 1900م^[42].

وإذا كان ساموري قد هزم في النهاية إلا أن ذلك لا يرجع إلى قصور في العمل أو تراجع عن المبادئ، ولكن السبب الرئيس يكمن في قلة الموارد وضعف الإمكانيات. وعدم التنسيق على المستوى المحلي بين زعماء المسلمين الذين انشغلوا بصراعاتهم الداخلية مع بعضهم، بل تحالف البعض الآخر مع الأعداء، فكان هذا في حد ذاته كافياً لتقويض دعائم هذه الممالك الإسلامية^[43].

وباختفاءه اختفت الدولة الإسلامية في السودان الغربي، ليبدأ الاستعمار الأوروبي في بسط سلطانه، وثقافته على البلاد والعباد، وشرع في عملية استغلال خيراته، والسيطرة على موارده المتنوعة، كما شرع في تنفيذ مخططة الرامي لتتصير المنطقة التي عرفت عبر التاريخ قيام ممالك إسلامية ذاع صيتها في مختلف أرجاء المعمورة^[44].

يتضح لنا مما سبق أن فرنسا دعمت سيطرتها في منطقة غينيا الفرنسية عن طريق التوسع في المنطقة الساحلية المعروفة بأنهار الجنوب، وفي المنطقة الداخلية في فوتا جالون، وقد أتاح هذا التوسع الامتداد نحو النيجر فمدت نفوذها إلى أعالي النيجر بعد أن قضت على إمبراطورية التكرور بزعامته أحمدو شيخو، وإمبراطورية الماندنغو بزعامته ساموري توري^[45].

يمكننا القول أن الحركات الإصلاحية، والجهادية التي شهدتها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر عموماً، وحركتي الحاج عمر وساموري توري خصوصاً، استطاعت أن ترسي دعائم الدين الإسلامي من جديد، وأن تنقيه مما حل به من شوائب، كما استطاعت أن تحافظ على الكيانات السياسية التي أنشأتها ولو لفترة من الزمن، وقد عبرت من خلال هذه الكيانات عن مدى تمسكها بالأرض، والدفاع عنها بكل الوسائل المتاحة آنذاك، ورغم فشلها عسكرياً في حسم المعركة لصالحها، إلا أنها تركت أثراً أدبياً تمثل في بقاء روح المقاومة مستمرة ضد الغزاة لدى شعوب السودان الغربي.

الهوامش:

- 1- جاء مؤتمر برلين 1884-1885 م لتتويجا لجهود ومحاولات القوى الأوروبية لتنظيم عملية التكايب والسيطرة على القارة الإفريقية، ويعتبر هذا المؤتمر خاتمة المطاف لذلك الصراع الدولي الأوربي على القارة الإفريقية ونمرة الدبلوماسية الأوروبية في تكالبها على السيطرة على القارة برمتها. أسفر المؤتمر في النهاية على تغيير ملامح الخريطة السياسية للقارة بعد أن نظم عمليات السيطرة والاحتلال. انظر: الجمل شوقي عطا الله و إبراهيم عبد الله عبدالرزاق: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ط2، دار الزهراء الرياض، السعودية، 2002م، ص 152.
- 2- إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، دار المريخ للنشر، مصر، 1988م، ص ص 35-36.
- 3- موسى فيصل محمد: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1997م، ص 217.
- 4- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 37.
- 5- الجمل شوقي و عبد الله إبراهيم عبد الرزاق: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، 1998م، ص 140.
- 6- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 37.
- 7- ولد الحاج عمر بن سعيد الفتوي 1212 هـ الموافق لـ 1797 م "بحلوار Alwar" بالقرب من بدور في إقليم فوتا تورو بقطر السنغال. وتربى وترعرع بين أبوين كريمين وحفظ القرآن الكريم عن والده الشيخ سعيد بن عثمان، ثم اجتهد في تحصيل العلوم الشرعية حتى أشير إليه بالبنان في المنقول والمعقول، أخذ مبادئ الطريقة التجانية عن الشيخ مولود فال الشنقيطي وكذا عن الشيخ عبد الكريم الأوراد اللازمة للطريقة، وقد أدى الحاج عمر فريضة الحج وأقام بمكة حوالي ثلاث سنوات درس خلالها على يد زعيم الطريقة التجانية محمد الغالي، الذي عينه خليفة للتجانية في السودان الغربي ثم مر الحاج عمر على القاهرة وزار الأزهر الشريف حتى التقى بكبار العلماء ورجال الدين وعلماء الصوفية، وعندما عاد إلى السودان استقر بعض السنوات في سوكونو حيث استقبل من قبل أميرها محمد بلو بن عثمان فوديو وتزوج أبنته، وأخذ عنه محمد بلو مبادئ الطريقة التجانية ولا شك أن رحلات الحاج عمر إلى مكة والقاهرة وسوكونو قد أفادته كثيرا فزادت ثقافته الدينية وأطلع على شؤون العالم الإسلامي ولعل أهم نتيجة لهذه الرحلات هو أنه أصبح زعيما للطريقة التجانية في السودان الغربي ورغم إشتغاله بالجهاد والدعوة والأسفار الطويلة كان شديد الاهتمام بالعلم، ففتح عدة مدارس للتعليم تخرج منها أئمة وعلماء، وقد ألف عدة كتب أهمها: (رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم) و(سفينت السعادة). انظر: محمد الحافظ التجاني: الحاج عمر سلطان الدولة التجانية، الزاوية التجانية بالقاهرة، مصر، د.ت، ص 9. وإلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 48.
- 8- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص ص 68-69.
- 9- لويس فيدارب: أول حاكم عام فرنسي يعين في مستعمرة السنغال بين (1854-1864) رقى لرتبة جنرال سنة 1863م، وله عدة إنجازات منها: إنشاء لبنك السنغال في سنة 1855م وميناء دكار سنة 1862م، ترك عدة أعمال وأبحاث حول إفريقيا. انظر:

George, Hardy :Faidereb en de Le encyclopedia de Lempire Francais
Paris,1947,PP.9-40.

Bois, Alexis : Sénégal et Soudan, Challamel aîné, Paris,1886.P2 .

10- التكرور أو التكلور: اعتنقوا الإسلام بحماس، وكانوا بذلك أول المجموعات الزنجية في غرب إفريقيا التي انتشر بينها الإسلام، وحمل علماء التكرور راية الإسلام إلى ما جورهم من القبائل الزنجية، وكانت حرفتهم الرئيسية الزراعة، وهم على جانب كبير من الذكاء، والشجاعة، وقد لعبوا دورا كبيرا في مقاومة الغزو الفرنسي للمنطقة، وكون منهم الحاج عمر إمبراطوريته الكبيرة التي امتدت من أعالي السنغال حتى أعالي النيجر. انظر: أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ط1، دار المريخ، الرياض، 1981م، ص171و.

11- البيمبارا: ينتشر شعب البيمبارا في السنغال، ومملكة مالي، وحوض نهر السالوم، وأعالي النيجر يكثرون على الساحل وكثير منهم زراع ويعتقون النظام الأبوي. يقول بنجر Banger في تفسير اسم البمبر: «أن هذا الاسم مرادف للكلمة كافر، وهم يطلقون على أنفسهم بمنه Bama أو بيمكة Bamenka، وهو مشتق من بمة Bame ومعناها تمساح، وهو الحيوان الذي يتخذونه طوطما لهم». خضعت شعوب البيمبارا لسلطين مالي ثم ظفروا باستقلالهم في القرن السابع عشر واستقلوا تماما عن باشاوات تمبيكتو والمراكشيين، وأخذوا يتوسعون في القرن الثامن عشر، فاندفعوا نحو الشمال الغربي، وأسسوا أمارا كارتا على النيجر والتي احتفظت باستقلالها طوال القرن الثامن عشر. انظر: مراد محمد عدنان: المجتمعات الإفريقية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995م، ص113. ومحمد نبيلة حسن: في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ص110. وحسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، مصر، 1963، ص283.

12- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص91.

13- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص70.

14- باكل: مدينة في منطقة سينغامبيا الشرقية جنوب الفوتا تورو على نهر السنغال أحتلها الفرنسيون في إطار التوسع نحو الداخل السوداني.

15- مدينة سنغالية ساحلية صغيرة توسعت في عهد الاستعمار الفرنسي، وكانت نقطة انطلاق الفرنسيون إلى المناطق الداخلية، بها أهم المنشآت الاستعمارية.

16- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص92.

17- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص72.

18- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص93.

19- إبرام اتفاقية في شهر جويلية 1860م بين قائد باكل Bakel عن الجانب الفرنسي وتيرونو موسى عن الجانب العمري وأهم البنود التي تضمنتها الاتفاقية:

- حرية التجارة بين كارتا ومدينة، مع ما يرافق ذلك من تحرك الأشخاص والقوافل والبضائع والأموال داخل أراضي كل طرف.
- منع كل أنواع الغزو والسلب والنهب من هذا الجانب أو ذاك.
- يتوجب على أتباع الحاج عم أن يسمحوا بالمرور بكل حرية لكل الفارين الراغبين في الالتحاق ببلدانهم. انظر: أحمد الأزمي: الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م، ص44.

- 20] إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 93.
- 21] شلبي أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ط 5، مكتبة النهضة المصرية، 1990م، ص 215. 22] إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 94.
- 23] حمد الله: عاصمة مملكة ماسينا، أسسها الشيخ أحمد و سنة 1819م، تقع هذه المدينة على ضفاف نهر باني أحد فروع النيجر. انظر: David, Robison: La Guerre Sainte D'ALhazz Umar, Edition Karthala, Paris, PP80-81.
- Maurice Delafosse: Les Noirs de L'Afrique, edition Payot, Paris. 1922. P83.
- 24] Robert, Cornevin: Histoire de L'Afrique, tome 2, Paris. 1966. P251
- 25] إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 78.
- 26] الطريقة التجانية أحد أشهر الطرق الصوفية التي عرفها السودان الغربي في العصر الحديث، ويعتبر الشيخ محمد الحفيظ بن مختار أول من أدخل تعاليم الطريقة التجانية إلى السودان الغربي. ومن الشخصيات السودانية البارزة- التي وطدت أركانها وساعدت على انتشارها في مختلف ربوع السودان الغربي في ظل انتشار الوثنية والجهل- الحاج عمر الضوتي الذي أخذ يعظ الناس للرجوع إلى عقيدة السلف ومحاربة الوثنية وتوجيه اللوم من وجهة نظره إلى الأمراء المسلمين المحليين الذين كانوا السبب في تراجع الإسلام في بعض المناطق خلال القرنين 17 و 18م نتيجة تقاعسهم وتسامحهم المفرط. انظر: أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 215. وبن يوسف تلمساني: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997/1998م، ص 113-115.
- 27] هندوقه إبراهيم فرج: الإسلام في بلاد التوكولور في غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات الأفريقية / جامعة القاهرة 2006.
- http://www.mubarak-inst.org/stud_reas.
- 28] نفسه.
- 29] ولد ساموري توري سنة 1830م بساندورو بالقرب من بيسادوجو في غينيا الفرنسية، أي في واد ميلو على الحد الشمالي لكونيا Konuya، وهي منطقة من الأراضي الجبلية والهضاب المرتفعة في شمال المرتفعات الغينية، درس العلوم الإسلامية في الماندي، وكان لرحلاته الأولى التي بدأها من الديولا أكبر الأثر في تأثره بحركة الإصلاح التي قامت في السودان الغربي، أكتسب ساموري تجربته الأولى عندما كان يعمل جندياً في خدمة ملك الماندي، وأكتسب خبرة في مجال التوسع. أراد ساموري أن ينشأ دولة إسلامية جديدة من بين دويلات الماندي الصغيرة الواقعة في الجنوب من أملاك الحاج عمر والتي تعرف اليوم بمجموعة غينيا، سيراليون، ليبيريا، ساحل

العاج.انظر فيج جي،دي : تاريخ غرب إفريقيا،ترجمة،يوسف نصر،ط1.دار المعارف،القاهرة، 1982م،ص301.

30- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص ص 121-122.

31- Guillaumet ,Édouard : Projet de mission chez Samory, Soudan

français : rapport à le Ministre des colonies, Impr. Chaix
Paris, 1895.P12.

32- فيج جي،دي :المرجع السابق،ص301.

33- نفسه ،ص 301.

34- Maurice, Delafosse :Essai de manuel pratique de la longue

mondé ou mondingue,edition le roux,Paris.1901.P148.

35- كينيرا؛ قرية على الضفة اليمنى للنيجر يوجد بها أحد أهم أسواق العبيد والملح والكولا،كما كانت مركزا هاماً لتجارة الذهب القادم من بوري في أعالي النيجر،وكذلك الأقمشة،والخيول القادمة من المراكز التجارية الشمالية للصحراء.انظر: إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص147.

36- نفسه،ص147. وانظر: joseph,ki-zerbo:Histoire de L'afrique Noire,Hatier, Paris,1972,PP377-378.

37- نفسه،ص147.

38- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص130.

39- ❖ معاهدة "كنيايا كورا" في 23 مارس 1887 م،والتي نصت على مايلي :

- اعتراف ساموري بسيادة فرنسا ونفوذها على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا Nyamina حتى "تنكيسو" Tinkisso.

- موافقة ساموري على التخلي عن المطالبة بحقوقه في مناجم الذهب في بوري Boure والاعتراف باستيلاء الفرنسيين عليها.
- بقية الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى للنيجر ستكون تحت سيطرة ساموري.أنظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص132.

❖ معاهدة "بيساندوجو" في 25 مارس 1887 م بين "بيروز" عن الجانب الفرنسي وساموري توري والتي نصت على مايلي:
- موافقة ساموري على أن يعتبر نهر النيجر بمثابة خط الحدود بينه وبين الفرنسيين،كما وافق على التجارة مع المراكز التجارية الفرنسية.
- اعتراف ساموري بحقوق فرنسا على الضفة اليسرى لنهر "تنكيسو" حتى "نيامينا".
- لتأكيد السيطرة الفرنسية في هذه المناطق أنشأ الفرنسيون مراكز في سيجري على الضفة اليسرى للنيجر.

- أصبحت حدود السودان الفرنسي تمتد من النيجر من "دجالا" Deguella حتى "تجيبيري" Tiguibiri، ومن تنكيسو حتى منابعه وأصبحت المنطقة الممتدة من بامكو حتى سيجيري خاضعة لنفوذ فرنسا.
- أجبر ساموري بمقتضى المعاهدة ألا يتعدى غرب أعالي النيجر عند "سيجيري"، وانتزعت منه ممتلكاته في شمال النيجر. انظر: Maurice, Delafosse: Haut-Sénégal-Niger (Soudan français) , Première série, Tome II Edition, Larose Paris, 1912.P346.
- 40- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 147.
- 41- نفسه، ص ص 158- 159.
- 42- عمر الماحي عبد الرحمان: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص ص 167- 168.
- 43- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 144.
- 44- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دارهومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 171.
- 45- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 162.
- اليونيسكو: تاريخ إفريقيا العام، مج 7، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1990م، ص 129.

دويلات وممالك السودان الغربي خلال القرن 19م

